المحاضرة الحادية عشر

المنهج الفني

تمهيد:

إن المتتبع لدورة حياة **النقد الأدبي**، يجد أن هذا المنهج – **الفني**– من أول المناهج النقدية الأدبية الحديثة،التي برزت ضمن مسارات حركة النقد الأدبي، ذلك أن القدامى تمثلوا شيئا من هذا النقد، من خلال محاولتهم فهم وتفسير الأعمال الأدبية لغويا وبلاغيا، لكن تمثلهم هذا كان محدودا مقارنة بالعصر الحديث، أين أصبح هذا النقد قائما على **منهج نقدي فني** له أصوله النظرية ومقولاته الإجرائية، بحيث عمل بعض النقاد من أمثال: **المرصفي/ طه حسين/ الخولي** وغيرهم على تأصيله في الساحة النقدية الأدبية الحديثة، من خلال بيان فعاليته النقدية الإجرائية في فهم وتفسير الأعمال الأدبية. من أجل ذلك عدّ: « فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة، وأن علوم اللغة من نحو وبلاغة وعروض أساس في فهم النصوص وتعليل الأحكام فيها »[1] ، مما يعني في جانب آخر أن هذا المنهج يعد من أبرز المناهج النقدية الأدبية التي أثبتت فعاليتها في فهم/ تفسير التكوينية الفكرية والفنية للأدب. ذلك أن الناقد وفق المنهج الفني يحرص على دراسة: «العمل الأدبي دراسة شاملة تحدد نوع العمل وعوامل بقائه وأسرار جماله وقوته ثم علاقته بالآثار الأدبية...كما يحدد خصائص الأديب الفنية

[1]– محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ومنهج البحث في الأدب واللغة.دارالنهضة. مصر.دت ص: 02.

ويتعرف من خلال آثاره على اتجاهه الأدبي وعلى قيمته التعبيرية والشعورية »[1].

مما يعني القيام بدراسة الأدب دراسة فنية جمالية، تكشف في جانب آخر عن النوع الأدبي (القصة، الشعر، الرواية) وكذا مختلف القيم الفكرية والأدبية، ثم الوصول بعد ذلك، إلى تحديد أهم الخصائص الفكرية والفنية للأديب. وعليه فإن **المنهج الفني** وحتى يحقق هذه الغاية النقدية الفنية فقد ارتسم في مساره الإجرائي بعض المبادئ والإجراءات التي على أساسها يمكن تحقيق بعض الأهداف والغايات الفنية، التي يحرص عليها الناقد أثناء دراسة العمل الأدبي.

-مبادئ المنهج الفني: ولعلّ من أهمها:

أن تتحقق **للناقد موهبة فنية** لها علاقة بذوقه الفني الخاص، كما أن تنمية هذه الهبة تستدعي احتكاكا/ مراسا بالدراسات اللغوية والفنية البلاغية، أي دراسة المأثورات الأدبية والنقدية على السواء، كما يتطلب من **الناقد الاستعانة بالخبرات النقدية السابقة**، حتى تصبح له القدرة على التحليل والمقارنة والتفسير، ذلك أن معرفة الأصول الفكرية/ الفنية للنقد قد لا تسعف الناقد القيام بإجراء منتج وفعال، لذلك فإن تمثل هذه المنهجية يستدعي من الناقد خصائص معينة منها: «**التأثر** (التذوق الذاتي)، لذلك وحتى يكون هذا التأثير مأمون العاقبة في الحكم النقدي الأدبي، يجب أن يسبقه ذوق فني رفيع، بحيث يعتمد هذا الذوق

[1]- ابراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر، ص: 95.

على الهبة الفنية اللدنية والإجرائية التي لها علاقة بالتجارب الشعورية الذاتية وعلى سعة الاطلاع الأدبي والنقدي »[1].

كما أن من المبادئ الواجب تمثلها ضمن **المنهج الفني:** ضرورة تحديد أهم **القيم الفكرية والفنية،** من منطلق الاعتماد عليها كمرجعيات في استصدار الأحكام النقدية على الأعمال الأدبية، هذا بالإضافة إلى الاعتماد على بعض المعارف الإنسانية والاجتماعية، بحيث قد تسعف الناقد على الإحاطة بمختلف ظروف العمل الأدبي التاريخية والاجتماعية والثقافية التي ظهر فيها، ما يستدعي من الناقد: « ألاّ يضيق نفسا بتجارب الآخرين الشعورية والفكرية، حتى ولو لم تكن من جنس تجاربه المختلفة، وإنما عليه أن يتقبلها ويتفحصها/ ما دام الناس لا يمرون في تجارب واحدة »[2] .

كما أن هذه المنهجية تتطلب " مرونة " في دراسة الأعمال الأدبية، مما يعني أن لها إمكانية تقبل الأشكال الأدبية والنقدية الجديدة، ذلك أنها قد تقدم/ تضيف إضافات جديدة للأدب كما للنقد، ومن ثم فإن"المرونة" هي ما كان:ينقص كثيرا من النقاد القدامى، فتقف بهم هذه النماذج المأثورة من أنماط الشعور والتغيير، فما كان متفقا معها فهو جيد ومقبول وما شذّ عنها فهو معيب مرفوض »[3] .

---

[1]– ينظر: سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص: 132.

[2]– عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، ص: 278.

[3]– سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص: 133.

-ملامح النقد الفني:

وضمن هذا السياق يمكن الإشارة إلى بعض النقاد الذين تبنوا **المنهج الفني** في كتاباتهم النقدية النظرية والإجرائية، كالشيخ " **المرصفي** " الذي يعد من المؤسسين لهذا المنهج في العصر الحديث، بحيث بيّن في مؤلفه الموسوم بـــ: " **الوسيلة الأدبية** " أهمية القواعد اللغوية والبلاغية في فهم وتفسير الأدب، لذلك فقد كانت طبيعة أحكامه التي يستصدرها تأثرية بامتياز، بحيث يتخير الألفاظ وجمال المعاني، مع التركيز على دورهما الفني والأدبي، ومن ثم يمكن اعتبار هذه التطبيقات النقدية، من أهم مرجعيات المنهج الفني، الذي ينظر للأدب نظرة فنية جمالية. وفي السياق نفسه يمكن الإشارة إلى ناقد آخر، سلك النقد الفني وتأثر به أيما تأثر إنه:" **أمين الخولي** " بحيث يمكن أن نتلمس بعض ملامحه الإجرائية من خلال مؤلفه الموسوم بـــ: " **فن القول** " الذي بين فيه أهمية **الأساليب الفنية والبلاغية والجمالية للأدب**، هذا ما جعله يعطي مفهوما جديدا للمعنى الإجرائي للبلاغة، من منطلق أن يكون القول بليغا؛ فهذا يعني – حسبه – أن الإبداع الأدبي/الفني قائم على الحس/ الذوق الفنيين؛ مما يعني أن الأدب، هو فن تشكيل الكلمة، ومن ثم تصبح البلاغة تبحث في فنيات أساليب القول، وعلى هذه الخلفية المفهومية الجديدة للبلاغة انطلق – **الخولي** – في بناء رؤيته النقدية الإجرائية على: « إدراك واع لأساليب اللغة وأوجه تفاوتها من حيث رسمها للمعاني والصور ومن حيث ارتباطها بالأجناس الأدبية وما يناسب كل جنس

منها »[1]. مما يعني في جانب آخر أنه ركز في الإجراء على اختيار الأساليب البلاغية الراقية البعيدة عن الاستعمالات الركيكة، هذا بالإضافة لتجاوزه الافتعال في سبك الأبنية اللغوية للجمل الأدبية، ذلك أنه يفقد حدّة الجمالية الفنية للأساليب الفنية الأخرى، وعلى هذا الأساس أَولى " **الخولي** " أهمية كبيرة – **للعبارة الأدبية** – في دراساته الإجرائية، من منطلق أنها تشكل الأساس الجمالي والفني للأدب، كما أن قيمتها الفنية لها أولوية على كامل العناصر البلاغية الأخرى (الاستعارة، التشبيه)، مما يعني في جانب آخر أن " **اللغة** " تبقى – حسبه – تُشكل: «وسيلة للكشف عن الأدب كلون من ألوان الفنون المختلفة، ثم الكشف عن الأدب كقيمة أو كمفكر أو كإنسان »[2].

وبناء عليه يمكن القول: إن **المنهج الفني** لم يكن بمنأى عن تأثره وتأثيره في بعض الرؤى النقدية الأخرى **التاريخية/ الاجتماعية/ النفسية**، التي برزت في تلك الفترة من العصر الحديث، بحيث أثبتت هي الأخرى فعاليتها **النظرية والإجرائية**، مما استدعى الاستعانة بها في دراسة وتحليل الأعمال الأدبية، لذلك: « قد تكون عملية النقد مجدية/ فعالة حينما يستخدم الناقد بعض مقولات المناهج الأخرى وفي وقت واحد »[3]. وعليه سنحاول أن نفصل الكلام في بعض المناهج النقدية الأخرى، التي صاحبت المنهج الفني ضمن حركة النقد الأدبي الحديث.

---

[1]– ابراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر، ص: **98**.

[2]–نفسه ، ص: **99**.

[3]– ينظر: سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص: **164**.